التعاون والتعليم

مظاهرهما في الديار المصرية والطرق الممكنة لتحقيقها

١

روح التعاون في مصر

اذا اراد المصري ان يتبين انهُ متعاون الآن مع معاصريهِ كما كان متحداً متعاوناً مع جميع من عاشوا معهُ على الارض التي تعيش عليها الآن فما عليهِ الاّ ان يردد الطرف حولهُ يمنة ويسرة ناظراً الى الآثار الخالدة التي تنشى وادي النيل وهناك تتجلى لهُ الاسباب التي تحملهُ على الاشتراك مع بقية الامم في تقويم دعائم الحضارة ورفع شأن بني الانسان اذ لا يخفى ان مصر كانت ايام قدماء الفراعنة وفي عهد البطالسة وفي مختلف ازمان حكم العرب منبع النور الذي اشرق على العالم كلهِ ولا ريب انهُ اذا ألمّ ابناؤها الآن بتاريخها واتقنوا درسهُ وجدوا فيهِ ما يبعثهم على الجد والاجتهاد ويدعوهم الى دوام الرقي . اما في عصرنا الحاضر فان مركز مصر الجغرافي وحالتها الاقتصادية يدلان دلالة واضحة على ما لها من الارتباط ببلاد العالم لما بينهما من المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة . ولما كان من مقتضيات التعاون الدولي ان يكون مسبوقاً بتعاون بين اهل البلد الواحد صح لنا ان نتساءل ما هو حدّ التعاون في مصر ؟ والى اية درجة تشترك الاسرة والمدرسة في توسيع نطاق هذا التعاون ؟

اذا وجهنا نظرنا الى العنصرين الاصليين اللذين يتألف منهما الشعب المصري وجدنا ان العنصر القبطي الذي يقل عدداً عن العنصر الآخر لا يدّخر وسعاً في اتباع الوصية التي جاء الانجيل بها وهي « احبوا بعضكم بعضاً » واتخاذها قاعدة اساسية للمعاملة والسلوك في البيت وفي المدرسة وفي الجامعات وعملاً بهذه القاعدة انشئت عدة جماعات خيرية لمعاونة الفقراء ونشر العلم بحيث لا تخلو قرية من قرى مصر من واحدة منها وتقوم المدن الكبرى بالانفاق على المدارس وملاجيء الايتام وغيرها من المشاغل والمصانع . اما المسلمون الذين هم الاغلبية في الامة المصرية

فيتبعون اوامر قرآنهم وما ورد في سنة نبيّهم في تأدية واجباتهم وفرائضهم افراداً وجماعات ومن اهم ما فرض عليهم الزكاة فيؤديها المسلم عن طيب خاطر كما يؤدي الصلاة والصيام والحج . وتبنى الزكاة والصدقة على مبدإ التعاون الذي جهر بهِ نبينا محمد عليهِ الصلاة والسلام والذي من شأنهِ توثيق عرى الروابط بين المؤمنين كما تنطق بذلك الآيات الكريمة الآتية :

١ — والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسولهُ الآية

٢ — وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان الآية

٣ — واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألّف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمتهِ اخواناً الآية

وتوجد آيات كثيرة تحض على الصدقات وتشدّد على آدائها فمنها :

١ — يا ايها الذين آمنوا أنفقوا من طيّبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منهُ تنفقون ولستم بآخذيهِ الا ان تغمضوا فيهِ . الآية

٢ — الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانيةً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون

٣ — واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واقرضوا الله قرضاً حسناً الآية

٤ — آمنوا بالله ورسولهِ وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيهِ فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجرٌ كبيرٌ

٥ — قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانيةً من قبل ان يأتي يومٌ لا بيعٌ فيهِ ولا خلالٌ

٦ — فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيراً لانفسكم ومن يُوق شحّ نفسهِ فأولئك همُ المفلحون

٧ — وما آتيتم من زكاةٍ تريدون وجه الله فاولئك همُ المضعفون

ولم تقتصر التوصية بالبر والاحسان على الاخوان بل تناولت الاسرة كلها والوالدين والاقربين كما تدل على ذلك الآيات الآتية :

١ — ووصّينا الانسان بوالديهِ احساناً حملتهُ امهُ كرهاً ووضعتهُ كرهاً

وحملُهُ وفصالُهُ ثلاثون شهراً الآية

٢ — وقضى ربك الاّ تعبدوا الاّ اياهُ وبالوالدين احساناً إما يبلغنّ عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقلْ لهما افٍّ ولا تنهرهما وقلْ لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة وقلْ ربِّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً

٣ — ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون

٤ — ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفورٌ رحيمٌ

وقد جاءت الآيات التالية بتحريم كنز المال واكل الربا وعذاب من يفعلها :

١ — والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم

٢ — وما آتيتم من ربًا ليربو في اموال الناس فلا يربوا عند الله الآية

٣ — يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الرّبا اضعافاً مضاعفةً واتقوا الله لعلكم تفلحون

٤ — واحلّ اللهُ البيع وحرّم الرّبا فمن جاءهُ موعظةٌ من ربهِ فانتهى فلهُ ما سلف وامرُهُ الى الله ومن عاد فاولئك اصحابُ النار هم فيها خالدون

٥ — يمحقُ اللهُ الرّبا ويربي الصدقات الآية

٦ — ومن يوق شحّ نفسهِ فاولئك هم المفلحون

٧ — الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضلهِ الآية

٨ — الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل الآية

٨ — هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخلُ ومن يبخلْ فانما يبخلُ عن نفسهِ

ومن المستحسن ان يضمّ الى هذه الآيات ما جاءت بهِ الاحاديث النبوية في هذا الصدد . قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم

١ — والله في عون العبد ما دام العبدُ في عون اخيهِ

٢ — ومن كان في حاجة أخيهِ كان الله في حاجتهِ

٣ — انصر اخاك ظالماً او مظلوماً فقال رجل يا رسول الله انصرهُ مظلوماً فكيف انصرهُ ظالماً فقال تمنعهُ من الظلم فذلك نصرُك اياهُ

٤ — لا يؤمن احدكم حتى يحبَّ لاخيهِ ما يحبُّ لنفسهِ

ولما كانت تلك التعاليم وهاتيك الوصايا قد امر بها من تجب طاعته اتخذت أساساً للسلوك والمعاملة وهي ضرورية جدًّا لمكافحة ما يساور النفوس من الاثرة وحصر الفكر في حب المال والسيطرة على الناس مما لا يتفق والحب المتبادل بين الجميع على اختلاف مللهم ونحلهم واوطانهم

وقد سار المسلمون افراداً وجماعات بمقتضى هذه الاوامر وجعلوها نصب أعينهم فلا يردون فقيراً او محتاجاً يطرق بابهم ويؤيد ذلك انهم ينتهزون فرصة المولد والافراح والمآتم وشهر رمضان والعيدين للاكثار من الصدقات

وقد زاد ما ينفق على الملاجيء والمستشفيات وانواع المدارس كافة من الخيرات والهبات زيادة أدت الى انشاء وزارة خاصة هي وزارة الاوقاف تديرها وتشرف عليها وكان الحكام والامراء والاغنياء المثل الحسن في هذا البر وحذا حذوهم كثير من الناس . على ان اعمال البر والاحسان وتبادل المساعدات من اهم ما تقوم بهِ كثير من الجماعات الخيرية والنقابات وشركات التعاون ونكتفي هنا بذكر أشهرها وهي (الجمعية الخيرية الاسلامية) التي لها عدة فروع في جميع انحاء القطر و (جمعية العروة الوثقى) و (جمعية المساعي المشكورة) . وجميع هذه الجماعات تشترك في فعل الخير مع الجماعات الاجنبية جنباً لجنب وهي تحت رعاية الحكومة وعنايتها كما ان الحفلات التي تقيمها في كل عام لزيادة دخلها تعقد عادةً تحت رعاية جلالة الملك ويشترك فيها جميع الناس والجماعات على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم

أليس هذا هو التعاون ؟ بلى . ولكنهُ تعاون محصور في دائرة ضيقة ومزعزع الاركان ولهذا وجب تثبيت دعائمهِ وتوسيع دائرتهِ حتى لا تعوقهُ ظروف الزمان ولا يحجبهُ تباعد البلدان

اسماعيل حسنين باشا

ستأتي البقية

وكيل وزارة المعارف